وهم شـــائع

موشحة ابن زهر لا موشحة ابن المعتز

للأســـتاذ طه الراوى

ابن زُهر

آل زهر أسرة إيادية أندلسيّة ، برز كثير من رجالها فى العلوم والآداب ، وتفرّد جماعة منهم فى الطب والفلسفة . وكان إمام جماعتهم وواسطة قلادتهم أبو بكر محمد بن أبى مروان ابن أبى العلاء بن زهر المتوفى سنة ٥٩٦ هجرية . وقد تميز أبو بكر هذا فى علوم كثيرة وآداب وفيرة . وبرع فى علم الطب والفلسفة والآداب العربية . وكان حافظاً للقرآن راوياً للحديث ، وعانى قرض الشعر ، وله موشحات مشهورة يغنى بها ، وهى من أجود ما قيل فى ذلك . قال بعض من ترجموا له : « لم يكن فى زمانه أعلم منه بصناعة الطب . وكان معتدل القامة ، صحيح البنية ، قوى الأعضاء ، صار فى سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير . وكان ملازماً للأمور الشرعية ، متين الدين ، قوى النفس ، محباً للخير ، مهيباً ؛ وله جرأة فى الكلام ؛ وكان صائب الرأى ، حسن المعالجة ، جيّد التدبير . وكان كثير الإبداع فى الشعر مع سلامة ذوق وسجاحة طبع ، وانسجام أسلوب ، وجمال ديباجة . فمن ذلك قوله يتشوق إلى ولده :

ولى واحد مثل فرخ القطا ... صغير تخلّف قلبى لديه
نأت عنه دارى فيا وحشتا ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوّقنى وتشوّقته ... فيبكى علىّ وأبكى عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه إلىّ ومنّى إليه

ومن ذلك قوله :

إنى نظرت إلى المرآة إذ جليت ... فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه ... وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
قلت : أين الذى بالأمس كان هنا
حتى ترحّل عنى هذا المكان متى
فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت ... قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هوّن عليك فهذا لا بقاء له ... أما ترى الشيب يفنى بعدما نبتا

موشحة ابن زهر

قال جماعة ممن ترجموا له : من موشحاته قوله :

أيها الساقى إليك المشتكى ... قد دعوناك وإن لم تسمع

ومن أشهر المؤرخين الذين نسبوا هذا الموشح إلى محمد ابن زهر هو المحقق ياقوت بن عبد الله البغدادى الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية . قال فى ترجمة ابن زهر من كتابه (معجم الأدباء صفحة ٢١٦ من الجزء الثامن عشر) ما نصه : « وانفرد ابن زهر بالإجادة فى نظم الموشحات التى فاق بها أهلُ المغرب على أهل المشرق ... ومن موشحاته قوله :

أيها الشاكى إليك المشتكى ... الخ

وسرد الموشحة إلى آخرها . ومنهم موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم السعدى الخزرجى فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) فقد أثبت له هذه الموشحة فى جملة موشحات أخرى عند ما ترجم له فى الباب الثالث عشر من الجزء الثانى من كتابه المذكور

ولا أدرى أى شيطان سول لبعض المتأخرين أن ينسب هذه الموشحة إلى عبد الله بن المعتز فهافت على هذا الخطأ جماعة من المعاصرين الذين أخرجوا للناس مجاميع أدبية فجزموا بنسبة هذه الموشحة إلى ابن المعتز مع أن ابن المعتز نفسه لا يعرف شيئاً من الموشحات ولا عهد لأهل زمانه بشىء منها ، لأن المعروف بين مؤرخى الآداب العربية أن هذا الضرب من الشعر إنما هو من مبدعات متأخرى الأندلسيين وعنهم اقتبسه متأخرو المشارقة . قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته « أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق منه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ... ينسبون فيها (الموشحات) ويمدحون كما يفعل فى القصائد ، وتجاروا فى ذلك إلى الغاية ... وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر القبرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ... » اهـ

ثم ألمع ابن خلدون إلى نبذة من تاريخ الموشحات عند الأندلسيين وأهل المغرب . وذكر أن المشارقة قصّروا فى ذلك فلم يدركوا لهم شأوا . ومنه يعلم أن هذا الضرب من الصناعة

الشعرية من مخترعات المغاربة ، وأن المشارقة أخذوه عنهم بالمحاكاة ليس غير

وقد ذكر المقّرى فى كتابه (نفح الطيب) نحواً مما ذكره العلامة ابن خلدون وعدّ الموشحات من خصائص الأندلسيين ومن مزاياهم التى بذّوا فيها المشارقة

ولا أدرى كيف يسوغ لمتأدب أن ينسب إبداع تلك الموشحة إلى ابن المعتز ، وابن المعتز نفسه لم يشر ولم يومئ إلى هذا الضرب من ضروب الشعر فى كتابه الذى ألّفه فى البديع ! ولو كان لهذا النوع من أثر فى زمانه لفسّح له الصدر من كتابه ولأوسع فيه الشرح والإيضاح والتنويع والتفريع ، ولكان من المتعذّر أن يخفى على أساطين المؤرخين من أضراب ابن خلدون والمقّرى وغيرهما

ولا أدرى كيف التبست هذه الحقيقة على ناشرى بعض المجاميع الأدبية من المعاصرين فجزموا بنسبة تلك الموشحة إلى ابن المعتز مع ما اشتهر ، بل استفاض من أنها من نظم ابن زهر الإيادى الأندلسى ، ومع علمهم بأن الموشحات من مبدعات المتأخرين من الأندلسيين كما رأيت

ولعمرى إن ابن زهر الإيادى ليس بخفى الشأن بحيث يسوغ لمتأدب أن يختلس ثمار أفكاره فيلصقها بغيره ، كما أن ابن المعتز أشهر وأظهر من أن تخفى بدائع لبّه على ياقوت وابن أبى أصيبعة وابن خلدون والمقرى وأضرابهم من محقّقى المؤرخين ، ولكن ما الحيلة والتحقيق فى الناس قليل لأن مركبه صعب ، والتساهل كثير لأن مركبه وطئ

وأنا لم أكتب ما كتبت فى دفع هذا الوهم إلا لما رأيته فاشياً بين الشداة من المتأدبين الذين يعتمدون على ما تخطه أقلام المعاصرين من غثّ أو سمين ، ولا يكلّفون أنفسهم مؤونة الرجوع إلى الأصول للتثبت من صحة تلك النقول . وهذا داء وبيل تطاير شرره وعم ضرره . وأكبر الظن أن هذا الوهم تسرب إلى المتأخرين من طريق (ديوان ابن المعتز) المطبوع فى بيروت المتداول بين الأيدى . ولا جدال فى أن الكثيرين من جمعة الدواوين خاطبو ليل ، يحشرون شعر هذا فى ديوان ذاك ، وشعر ذاك فى ديوان هذا . والشواهد على ذلك كثيرة مستفيضة ، وقد وقفت فى هذا الديوان على شعر كثير لا علم لابن المعتز به وإنما هو من نظم من تقدمه أو تأخر عنه

وكان الأقدمون يتلقون نتاج الأفكار وثمار الأقلام من طريق الرواية ويتبارون بتوثيق حلقات الأسانيد وحبك أطرافها بالتحقيق والتروى إلى أن يستوى بيدهم الحق ويستقيم الصدق ، فلما ذهب عهد الرواية وأخذ الناس يعتمدون فى الجمع على أيديهم دون عقولهم وراح الوراقون يستنّون فى ميدان الحشد والتكثير والتحويل والتغيير وضعفاء المتعلمين من وراثهم يلقفون ما يأفكون من غير ما تبصر ولا تدبر — أصبح الحق يتيما والتحقيق غريباً . فعلى من يترفعون عن التقليد الأعمى من أبناء هذا الجيل أن يعتمدوا فى تحقيق الحق وتمحيصه على الأصول الأصيلة من دواوين العلم ومجاميع الأدب ولا يصح لهم الاعتماد على غيرها إذا أرادوا أن يكونوا للحق إخواناً ولأهله أعواناً

(بغداد) **طه الراوى**

مناجاة الله . . .

فى العبادات فى الإسلام

تأليف الأستاذ محمود على قراعة المحامى

هو الكتاب الذى يجب أن يكون فى بيت كل مسلم
وهو الكتاب الذى تجب قراءته على كل من يحرص على دينه ويريد أن يتعرف على أصوله ويهتدى بهديه
وهو الجزء الثانى من كتاب « وحى الأحاديث المحمدية » ألفه المؤلف على نسق كتابه الأول وبذل فيه جهداً كبيراً وعناية شديدة فى اختيار الأحاديث النبوية الصحيحة ، حتى جاء وافياً بالغرض الذى ألفه من أجله . وهو إعطاء القارئ المسلم صورة صادقة واضحة لدينه وثبتاً شاملاً وافياً بما ورد عن النبى الكريم من الأحاديث الخاصة بالعبادات فى الاسلام وكيف تكون . وتحدث فيه عن : « حقيقة الاسلام والايمان وفضلهما ، عبادة الله وحق العبودية ، معنى القول بأن الله فى السماء ، الوسوسة والايمان ، القضاء والقدر ، معنى كلمة الشهادة ، الجهاد بالنفس والمال ، أخلاق المؤمن (العلم . الصدق . الأمانة . العزة . الخ) ، السنة وما هى وتقسيم الفقهاء لها الخ ... »

فى أكثر من ٩٠٠ صفحة ورق صقيل
الثمن ٢٠ قرشاً والبريد ٥ قروش (إذن بريد)

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد على بالقاهرة